المحاضرة الأولى/ استشراق

الأطر المعرفية و التاريخية لمفهوم الاستشراق/ النشأة و التطور والدوافع(الأهداف)

أولا: مفهوم الاستشراق

الاستشراق هو مصدر للفعل (استشرق)، و معناه : اتجه إلى الشرق، أو تمثل بلغة أهل الشرق، وبعض الباحثين يؤثرون استعمال (مصطلح :علم المشرقيات بدلا من الاستشراق).

إنَّ الاستشراق اليوم علم له كيانه ومنهجه ومدارسه وفلسفته ودراساته وأغراضه ومؤلفاته واتباعه و معاهده ومؤتمراته الخاصة به.

المفهوم اللغوي للاستشراق: الاستشراق كلمة مشتقة من مادة (شرق) ومنه قولهم: شرقت الشمس، اذا طلعت وبزغت ، واستشرق أي ادخل نفسه في أهل الشرق حتى صار منهم ،يتحدث بلغتهم ويلبس مثلما يلبسون أحيانا.

ولفظة استشراق واستشرق حديثة وتُعد من الألفاظ المولدة والعصرية ، والمستشرق هو من تبحر بعلوم الشرق و آدابه عبر دراسة الشرق بإتقان لغاته ،أو ينحصر مفهوم المستشرق بمن جعل النفوذ متبادلا بين الشرق و الغرب بوصفه واسطة بين الاثنين.

وحصر بعض الباحثين لفظة الاستشراق بالعالم المتخصص بفقه اللغات الشرقية ومعلقاتها على وجه الخصوص، ويشمل ذلك تبحره بلغات الشرق وآدابه وتاريخه وآثاره وفنونه وفلسفته وأديانه وحفرياته وما شاكل ذلك.

إذن: المستشرق هو المشتغل بالعقليات الشرقية، ونظر آخرون للاستشراق بأنَّه مهنة معينة مثلها مثل الطب، والهندسة والمحاماة؛ لأنَّ المستشرق موكول بمهنة التبشير للدين المسيحي في بلاد الشرق، وبعض المستشرقين قاموا بالتشكيك الخاطئ عن الدين الإسلامي والقرآن الكريم، وهذا يعني أنَّ الاستشراق منهج عقلي يدعم التبشير والاستعمار، فهو – أي الاستشراق – حركة ولدت حديثا ، قامت بها جماعة من علماء الغرب ،في ظاهرها حركة علمية و في باطنها حركة استعمارية.

في البدء كان المستشرقين جماعة من علماء الغرب ، تضم المسيحيين واليهود والملحدين، درسوا لغات الشرق ،منها: العربية والفارسية والعبرية والسريانية وغيرها ،وانصب اهتمامهم أكثر باللغة العربية للاطلاع الواسع على علومها ومعارفها لاتخاذها وسيلة للطعن في الدين الإسلامي والقرآن الكريم من أجل تقلقل التمسك بها.

ثانيا: تاريخ الاستشراق \ النشأة و التطور

يُرجع أغلب الباحثين بدايات الاستشراق عقب المرحلة التي تلت الحروب الصليبية التي شنها الغرب على الشرق، وبالأخص العرب ،وأسباب ذلك ترجع الى :-

أ) التعصب الديني عند الغرب (الأوربيين):دفع هذا التعصب الأوربيين للسيطرة على البلاد المقدسة (فلسطين) ؛ لأنَّهم يعتقدون أنَّ المسيح (عليه السلام) مدفون فيها.
ب)طمع الأوربيين بالخيرات في البلاد الإسلامية.
ج) رغبتهم في بسط نفوذهم على الكنائس الشرقية.

وبعد فشل هذه الحروب الصليبية ، قام نفر من الغرب بواقع التعصب إلى تشويه الإسلام وإفساد عقيدة المسلمين التي هي سرّ قوتهم و تفوقهم ، فقام المستشرقون بالغزو الفكري والثقافي على بلاد المسلمين ، فتم استبدال هذه الحروب الصليبية الفاشلة ببعثات التبشير بالمسيحية لغرض استعباد الغرب للعالم الإسلامي.

لقد استغلت حملات التبشير التعليم ففتحت المدارس والكليات في أوربا وكذلك في قلب البلاد الإسلامية، وكان غرضها من ذلك شن حملات ثقافية وتعليمية لتشويه الإسلام في نفوس أبنائه كما في الجامعة الأمريكية في بيروت وأخرى في القاهرة وثالثة في إسطنبول/ تركيا .... ثم تطور الأمر إلى أنشاء كرسي الدراسات الشرقية في الجامعات الأوربية لاستقطاب أبناء المسلمين إلى المجتمع الأوربي والانغماس في انحرافاته.

إذن قام الاستشراق في بداياته على دعاة التبشير وهم الرهبان والمبشرون، ثم اتصل بالاستعمار لالتقاء أهدافهما معاً في بسط النفوذ والسيطرة على بلاد الشرق سياسياً وثقافياً ودينياً وفكرياً ....

ثالثاً: دوافع الاستشراق:

للاستشراق دوافع عدة، تتفاوت قوةً و ضعفاً ، أشهرها:-

1- **الدافع التبشيري**: ويعني تحطيم عقيدة المسلمين الدينية ، وتضعيف تمسكهم بالإسلام والعمل على نشر عقيدة النصارى ، بمعنى: أقناع المسلمين بلغتهم ببطلان الإسلام واجتذابهم نحو الدين المسيحي، و كان هذا العمل يقع على عاتق المستشرقين ورجال الدين في الكنيسة ،فكانوا يعملون على:-
   أ) تشويه محاسن الإسلام والطعن في القرآن والتاريخ الإسلامي.
   ب)حجب محاسن الإسلام عن الأمم والشعوب الأوربية.
   ج) عرقلة تيار التحول من المسيحية إلى الإسلام ومحاربته.
   د) تشكيك المسلمين بأمور دينهم وتوجيه المطاعن له وتنفيرهم منه.

وممّا يؤكد ما ذُكر أعلاه أنَّ معظم هؤلاء المستشرقين كانوا من رجال الكنيسة آنذاك وهم الذين قادوا حركة الاستشراق لدراسة لغة الإسلام وترجمة تراثه للنيل منه، لذلك تم أنشاء أول مركز لدراسة اللغة العربية في الفاتيكان (معقل المسيحية) فضلاً عن أنشاء كرسي للغة العربية في جامعات كل من : فرنسا وإسبانيا وإيطاليا وجامعة كامبردج في لندن / بريطانيا.

2- **الدافع الاستعماري**: يمثل هذا الدافع نقطة خطرة في العلاقات بين الشرق والغرب، لمحاولة الأخير على أرض الشرق وتدمير قوته واحتلال أراضيه واستغلال مقدراته، لقد كان الاستعمار سنداً قوياً وحصناً منيعاً وسلاحاً حاداً لحركة الاستشراق، ينفذ عبره أهدافه الطامعة، بتحطيم وحدة المسلمين وإحياء مبدأ القومية وتمزيق الأمة الإسلامية.

3- **الدافع التجاري:** تمثل البلاد الإسلامية في نظر الغرب سوقاً مفتوحاً لترويج بضاعتهم، وشراء المواد الأولية بأبخس الأثمان، وقتل الصناعات المحلية ،واضعاف القوة الاقتصادية، لذلك قام المستشرقون بدراسة جغرافية البلاد الإسلامية الطبيعية والزراعية والبشرية، ويُعد الدافع التجاري من أقوى الدوافع وأشدها تأثيراً في الحاح الغرب لتعلم لغات الشرق ودراسة حضاراته.

4- **الدافع العلمي:** وتمثل ذلك برغبة عدد من المستشرقين بالطلاع على حضارات الشرق وأديانه وثقافته ولغاته، وهدفهم كان المعرفة العلمية الخالصة، فكتبوا بما يُنصف الإسلام والمسلمين، وحتى أنَّ بعضهم اهتدى إلى الإسلام وآمن وحسُن إسلامه.

5- **الدافع السياسي :** بعد أن تحررت البلاد الإسلامية من مخالب الاستعمار، رأت الحكومات الاستعمارية أنَّ حاجتها السياسية تقتضي فتح قنصليات وسفارات بقيادة مستشرقين لديهم معلومات غنية في الدراسات الإستشراقية، الغرض من ذلك:

أ) تقديم معلومات وافية للحكومات الغربية عن أحوال العالم الإسلامي استعداداً للغزو العسكري المسلح.

ب)جمع معلومات عن رجال الدين والفكر والصحافة والسياسة، وتحكيم قبضتهم عليهم.

ج) ممارسة الأفكار والعقائد الغربية وقمع الحركات التي تنادي ضد الاستعمار والتغريب للانقياد للمستعمر.

<u>أساليب الاستشراق</u>

وبعد هذا نجد أنَّ أساليب الاستشراق متعددة ومتنوعة، تسهل للمستشرقين أداء مهامهم، منها:-

*أنشاء المعاهد للدراسات العربية، التي تهتم بدراسة المؤلفات العربية المترجمة، ودراسة ديانات الشرق وعاداته وتقاليده وحضاراته وجغرافيته، والأكثر العناية بالإسلام والآداب العربية والحضارة الإسلامية.

*تأسيس المطابع الشرقية لتساعد على نشر كتب الاستشراق والمدونات الغريبة المناهضة للشرق، خاصة في الدول الإسلامية.

*تكثيف إصدار المجلات التي تُعنى بالدراسات الإستشراقية ؛ لأجل صرف أنظار المسلمين عن تراثهم وثقافتهم الإسلامية وتاريخهم، ودعمهم مادياً ومعنوياً.

*عقد المؤتمرات لرسم الخطط الاستعمارية والتباحث حول تسقيط المنظومة الإسلامية والثقافة العربية.

*تأليف الكتب والبحوث والدراسات التي تشوه الإسلام وقائد الإسلام النبي محمد(ص)، وتغيير الوقائع التاريخية.

وهكذا نتبين أنَّ أهم أهداف الاستشراق محاربة الإسلام وقمع المسلمين ثقافياً وفكرياً، وخلق تبعية الشرق للغرب، والتركيز على تشويه السُنة النبوية الشريفة، والتشكيك بالفقه الإسلامي، ومحو اللغة العربية بالإلحاح على إحلال اللهجات كتابةً وقراءة ومخاطبة بدلاً من اللغة العربية؛ لأنَّها لغة القرآن الكريم.